الإشاريات ومقاصدها التداولية في أشعار الشاعر الفلسطيني وليد سيف

Allusions and their pragmatic purposes in the poetry of the Palestinian poet Walid Saif

جمال غافلي
طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. الإيميل: j.ghafeli@yahoo.com
د.علي خضري
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. الإيميل: alikhezri@pgu.ac.ir
د.رسول بلاوي
أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. الإيميل: r.ballawy@pgu.ac.ir
د.محمد جواد پورعابد
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. الإيميل: m.pourabed@pgu.ac.ir
د.ناصر زارع
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران. الإيميل: nzare@pgu.ac.ir

تاريخ الإيداع: 2023/12/11 تاريخ القبول: 2024/01/23 تاريخ النشر: 2024/03/15

الملخص

تعمل التداولية على دراسة اللّغة في الاستعمال، حيث تُعنى بأنظمة التواصل بين مستعملي اللّغة، التي بدورها تعدّ نظاماً للتواصل الإنساني، فبواسطتها يُعبّر المتكلم عن الأفكار التي يريد تبليغها للمخاطب. ولعلّ من أبرز مباحث الدَّرس التداولي: الإشاريات، كونها تعمل أساساً على ربط علاقات عناصرها بمرجعياتها اللّغوية والسياقية. الإشاريات عنصرٌ من عناصر التداولية، ويُشار بها إلى ذات، أو زمان، أو مكانٍ؛ يأتي بها المشيرُ للكشفِ عن عناصر النصِّ من أشخاص، أو أماكن، أو أزمنة، أو أحداث وقعت بين الأطراف المشتركة في النص الخطابي، حيث تقوم بتوضيح المقصدية من خلال سياق النص. يعمد هذا البحث إلى دراسة أنواع الإشاريات:الإشاريات الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية، ومقاصدها التداولية في أشعار وليد سيف، اعتماداً على المنهج الوصفي- التحليلي. ولأهمية الإشاريات في الخطاب الأدبي قديماً وحديثاً، لها نصيب وافر في أشعار وليد سيف، لذا أخذت مأخذاً واسعاً في دواوينه الشعرية، واستعمل الشاعر فيها مختلف ضمائر الخطاب، وأسماء الإشارة التي تدلُّ على المكان، والزمان، والأشخاص. وانتهى البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن طبيعة الدلالة المبهمة للإشاريات في المستوى اللساني تحتم علينا فهم إمكانياتها الدلالية المقصوده وغير المقصودة في المستوى الاستعمالي؛ لتحديد الخرق الدلالي لكل إشارية، والكشف عما يساعد في إيضاحها في الاستعمال، إضافة إلى أن للإشاريات قيمة خطابية إنجازية مثلها مثل بقية المفاهيم التداولية.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الإشاريات، السياق، الشعر العربي المعاصر، وليد سيف

Abstract
Pragmatics studies language in use, as it is concerned with communication systems between language users, which in turn is a system for human communication, through which the speaker expresses the ideas that he wants to convey to the addressee. Perhaps one of the most prominent topics in the pragmatics lesson is deictic signs, as they basically work to link the relationships of its elements to their linguistic and contextual references. Deictic signs are an element of pragmatics, and they refer to a subject, a time, or a place that the signifier brings to reveal the elements of the text, whether people, places, times, or Events that occurred between the parties involved in the discursive text, which clarify the intention through the context of the text. This research intends to study the types of personal, temporal, spatial and social indicatives and their pragmatic purposes in Walid Saif's poetry, based on the descriptive and analytical approach. Due to the importance of deictic letters in literary discourse, ancient and modern, they had a large share in Walid Saif's poetry, so they took a wide role in his poetry collections, and the poet used in them various pronouns of speech, and demonstrative nouns that indicate place, time, and people. The research concluded with a set of results, the most important of which is that the ambiguous nature of the signs at the linguistic level requires us to understand their intended and unintended semantic possibilities at the usage level. To determine the semantic violation of each indicative, and to reveal what helps clarify it in use, in addition to the fact that indicatives have an accomplished rhetorical value like the rest of the concepts.

Keywords: pragmatics, signals, semantic context, Contemporary Arabic poetry, Walid Saif.

1.المقدمة

الإشاريات أحد مفاهيم التداولية التي تكشف عن البنية اللفظية المبهمة وهذا الإبهام سمة لسانية في كل إشارية، وطريقة دراسة الإشارية عامة؛ لهذا من المهم، الحديث عن طرق التعبير التي تشير إلى شيء واحد والعكس، وإجراء كل نوع إشاري يختلف عن الآخر؛ وذلك يعود إلى كيفية استعمال الفرد للإشارية التي يُحورها إلى المعاني التي يريدها بطريقته الخاصة في كل استعمال لغوي سواء كان في عملية التلفظ أو التأويل؛ لأن المتكلم أو السامع ينطلقان في استعمال الإشارية من معانٍ عامة مبهمة موجودة في المستوى اللساني، وعند الاستعمال يتضح إدراك الفرد-المتكلم أو السامع- وتعامله مع هذه الإشارية.

بعض المبهمات التي تمثلها الإشاريات عامة، فتصف في كل استعمال تحت نوع مختلف مثل: إشارية (هذه) في مثل قولنا: "هذه الامرأة كريمة"، فهي بحسب إضافتها اكتسبت نوعها الشخصي، ودلّت على أنها تشير إلى مشاهد أمام المخاطِب، وقد يكون غير مشاهد إن كان في سياق الحديث عن غائب، ولكن في سياق آخر مثل: "سيكون الاختبار في محاضرة هذا الأسبوع"، نجد أن الإشارية اكتسبت من الاستعمال نوعها الزماني، وأنها تدّل على مزامنة الأسبوع الذي أُنجز فيه التلفظ، لكنه نجد أن التحليل التداولي يطلب أكثر مما قدّمه هذا الاستعمال وهو تحديد الأسبوع من حيث

التاريخ مثلاً، فمن يقرأ هذا الإعلان في أي وقت يستقبل المعلومة نفسها، وفي هذا إبهام على المتلقي؛ لأنه لم يستطع تحديد بدء الأسبوع ونهايته.

فالإشاريات مفهوم يعمل على تنظيم المحادثة وفق عددٍ من المعايير أو المقولات المحددة للمسافة بين المتكلم والسامع من جهة، وبين المشار والمشار إليه من جهة أخرى. الإشاريات تتقسم إلى أربعة أنواع، وكلها تحتاج إلى مرجعٍ يحدد مقصديتها، فالإشاريات مفهوم تداولي له قيمة خطابية منجزة في الخطاب، فتؤثر في المخاطَب وتؤدي دوراً فاعلاً مثل بقية المفاهيم التداولية. وفي دراستنا لهذا المبحث التداولي، وقع اختيارنا على أحد الشعراء الفلسطينيين الذين برزوا في الساحة الأدبية، وهو: وليد سيف، فالشاعر يوظف الإشاريات بأنواعها، ورغبتنا في دراسة هذه الظاهرة لإدراك المعاني الضمنية التي تتجاوز الحدود اللّغوية من أجل فهم وتذوق فحوى الخطاب الشعري، وتحديد مرجعية هذه العناصر الإشارية وفك شفرتها وتأويلها تأويلاً مناسباً لإدراك المقاصد الحقيقية للمتكلم. وسبب اختيارنا لدواوين هذا الشاعر، هو كشف دور الإشاريات التي اعتمدها في تلميح عن مكنوناته، ومدى توفيق الشاعر في توظيفها، وكذا ميلنا الذاتي إلى دراسة فحوى الخطاب الشعري والتعريف به.

ولأهمية هذه الظاهرة ارتأينا أن نسلط الضوء عليها من خلال الإجابة عن بعض التساؤلات المتمثلة في:

1-كيف تخضع أشعار وليد سيف إلى الإشاريات ومقاصدها التداولية بمختلف صورها؟

2-إلى أي مدى ساهمت الإشاريات التداولية في انسجام الخطاب والنص عند الشاعر وليد سيف؟

1-1. خلفية البحث

التداوليّة هي من الفروع الحديثة في اللّسانيات وقد كتب العلماء والباحثون دراسات مهمّة في التداولية ونظرياتها، مثل الإشاريات؛ لهذا علينا أن نعتمد على هذه الدّراسات لكي ترشدنا في كيفية القراءة ودراسة الإشاريات المستخدمة عند الشاعر وليد سيف. من أهمّ الدّراسات التي تناولت هذا الموضوع فهي كالتالي:

-مقال «الإشاريات وأثرها في تحقيق انسجام النص مقاربة تداولية في نونية ابن زيدون» للباحثين علي ميران جبار المنكوشي، و زهراء جياد البرقعاوي (2023م). يهتم هذا البحث بقراءة المنهج التداولي الإشاري القائم على تواصل الأنساق المعرفية بين التنظيم اللغوي من حيثيات أدواته المعرفية وبين أثره في التواصل المعرفي عند المخاطب.

- مقال «تداوليات الإشاريات عند ابن زيدون قصيدة "أثرت هزبر الشرى إذ ربض" أنموذجاً» للباحثة حنان بنت علي عسيري (2022م). في هذا العمل تطرقت الباحثة إلى الإشاريات باعتبارها الجانب الآخر للدلالة التي تتحقق منه معان كثيرة في كلمات قليلة، وهذا غاية الخطاب واستعمال اللغة، بحيث تكون اللغة سهلة الاستعمال، وافية بالدلالة تلبي كل متطلبات التواصل.

-مقال «الإشاريات التداولية وتجلياتها في التفسير، نماذج من سورة الأنفال» للباحث أحمد توفيق (2021م). يحاول هذا البحث الاستفادة من اللسانيات الحديثة في دراسة الخطاب القرآني وتجلياتها في تفسيره وتأويله، وذلك من خلال تطبيق إحدى آليات التحليل التداولي على تفسير سورة الأنفال، حيث يقوم البحث بالوقف على نماذج من الإشاريات الشخصية والزمانية والمكانية والاجتماعية والخطابية، ومحاولات تأويلها وتفسير مراجعها التي تحيل إليها، بالرجوع إلى مصادر التفسير المختلفة، وأثر ذلك على تحديد المعنى المراد أو ترجيحه.

-رسالة ماجستير « الإشاريات في ديوان "صحوة الغيم"» من إعداد الطالبتين أماني ربعي، وفريال قجاتي (2019م).؛ لقد تطرقت الباحثتان إلى مفهوم الإشاريات وكذا أهم أنواعها. الفصل الأول تحت عنوان: تجليات الإشاريات الشخصية والاجتماعية في ديوان "صحوة الغيم" لـ: عبدالله العشي، وقد اندرج تحته عنصران؛ الأول الإشاريات الشخصية والتي تتمثل في الضمائر، وأما الفصل الثاني: الإشاريات الاجتماعية وكيف وظفها الشاعر في مدونته.

-مقال «تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد» للباحث مصطفى حمادي (2016م). قد اهتمّ الباحث بتحديد أهمية الإشاريات في تحليل الظواهر التداولية القولية داخل الخطاب، واختار الباحث النص الديني كأنموذج يتضمن الأثر التداولي، ذلك لما له من خصائص فهو يتفرد عن غيره من الخطابات الأخرى بالمرجعية باعتباره كلاماً، وفي القيمة التبلغية باعتباره أنه يحمل دلالات ومقاصد لا يمكن كشف معانيها إلا من خلال تحديد السياق القولي له.

2-1. نبذة عن حياة الشاعر

وُلِد وليد إبراهيم أحمد إبراهيم سيف في مدينة طولكرم بفلسطين بتاريخ 19 يناير 1948. التحق بالجامعة الأردنية في أكتوبر 1966 حيث حصل منها على شهادة البكالوريوس في اللغة والأدب العربي، كما حصل على شهادة الدكتوراه في اللغويات في جامعة لندن عام 1975 م. وقد عمل بعد هذا التاريخ محاضراً في قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية مدة ثلاث سنوات قبل أن يترك القسم ليعمل كاتباً متفرغاً للدراما التلفزيونية. وقد عمل في الدراما التلفزيونية السورية. يلفت شعر وليد سيف الانتباه بجدية موضوعه الشعري وأصالة تناوله، ويعترف الكثير من الشعراء بتأثير شعره عليهم. «نشر حتى الآن ثلاثة دواوين شعرية وهي: قصائد في زمن الفتح عام 1969م، وشم على ذراع خضرة عام 1971م، تغريبة بني فلسطين عام 1979م. إضافة إلى قصيدتي البحث عن عبد الله البري والحب ثانية»[1]. الدكتور وليد سيف هو من أشهر مؤلفي الدراما التاريخية؛ له الكثير من الأعمال في هذا المجال ومنها: «الخنساء، عروة بن الورد، شجرة الدر، المعتمد بن عباد، طرفة بن العبد، جبل الصوان، بيوت في مكة، الصعود إلى القمة، ملحمة الحب والرحيل، الدرب الطويل، صلاح الدين الأيوبي، صقر قريش، ربيع قرطبة، التغريبة الفلسطينية، ملوك طوائف»[2]. ومن مؤلفاته الروائية تجدر الإشارة إلى:كتاب "الشاهد المشهود: سيرة ومراجعات فكرية"، تمّ نشر هذا الكتاب في عام 2016م، وهو سرد روائي لسيرته، حيث تحدث فيه وليد سيف عن ولادته في مدينته طولكرم، وعن حياته اليومية بين أشجار وشوارع وأحياء مدينته طولكرم، وصولاً إلى حياته الدرامية، وكتاب "ملتقى البحرين"، رواية، صدرت في 2019، وكتاب "مواعيد قرطبة" رواية، صدرت في ديسمبر 2020.

2. الإطار النظري

قبل الخوض في غمار البحث لابد من الوقوف على تعريف ماهية المصطلحات وبعض التعريفات والتنظيرات فيما يخص الموضوع، وفق ما يلي، ثم نتطرّق إلى أنواع تداولية الإشاريات في أشعار وليد سيف.

2-1. المفهوم المعجمي والاصطلاحي للتداولية

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى: «الجذر اللغوي "دول"، وله معان مختلفة، لكنها لا تخرج عن معاني التحول والتبدل، فقد ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري، "دول"، دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه، وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم»[3]. وأيضاً في القرآن الكريم، الآية التي تحوي جذور هذه الكلمة ﴿إِن يَمسَسكُم قَرحٌ فَقَد مَسَّ القَومَ قَرحٌ مِثلُهُ وَتِلكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَينَ النّاسِ وَلِيَعلَمَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ﴾[4]. وأما المفاهيم الاصطلاحية للتداولية: كما عرّفها الفيلسوف والسيميائي الأمريكي "تشارلز موريس 1938م" فهي «جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات»[5]. ويعرّفها مسعود صحراوي: «بأنّها نسق معرفي استدلالي عام، يعالج الملفوظات ضمن سياقها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية»[6]. وتعرّف أيضاً بأنها «دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، وهي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم»[7]. ونستخلص من كل التعاريف؛ أن مدار لفظ "دول: هو الناقل والتحول من حال إلى حال، أو مكان إلى آخر.

2-2. مفهوم الإشاريات

مفهوم الإشارة يعود إلى الحركة التي «يقوم بها الإنسان بالذراع (الممتدة)، والإصبع (السبابة) للإشارة إلى الطريق، وصورة السهم (علامة على الطريق)، وفي المقابل توجد علامات لغوية تقوم بوظيفة المؤشر الحركي أو الأيقوني إلى الطريق»[8]. وهي ما يطلق عليها في الدرس التداولي وغيره (الإشاريات)، ويعرّف الدرس التداولي «الإشاريات بأنها كل صيغة لغوية تقوم بالتعبير التأشيري، سواء كان هذا التعبير للإشارة إلى أشخاص، أو أماكن، أو أزمان، أو ألقاب اجتماعية»[9]. الإشاريات محور مهم في الدرس التداولي؛ «لأنها تدلُّ على نقطة انطلاق الفعل الشخصي أو المكاني أو الزماني، المشار إليه من قبل المرسل عن طريق زمرة من العناصر الوظيفية التركيبية المنبثقة من السياق بوساطة عملية التلفظ التي تقوم بكشف هذه العناصر»[10]. وبما أنَّ الإشاريات لا يمكن أن يتلفظ بها خارج سياق التخاطب، لهذا يتحتّم على المرسل أن يختار خطابه وفقاً لدواعي السياق، تجدر الإشارة بأن لا تقتصر الإشاريات على أسماء الإشارة فحسب، بل تدخل الضمائر والظروف منها ظروف الزمان والمكان (هنا، الآن) وفي هذا السياق أطلق عليها (المعينيات) ومهمتها أنها تعطي لكل خطاب ميزة معينة.

2-3. أنواع الإشاريات

تواطأ أغلب الباحثين على أن للإشاريات أربعة أقسامٍ، وهي الإشاريات الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية، ولعلنا نورد لها شرحاً مقتضباً، على النحو الآتي:

(1) مخطط يوضح أنواع الإشاريات

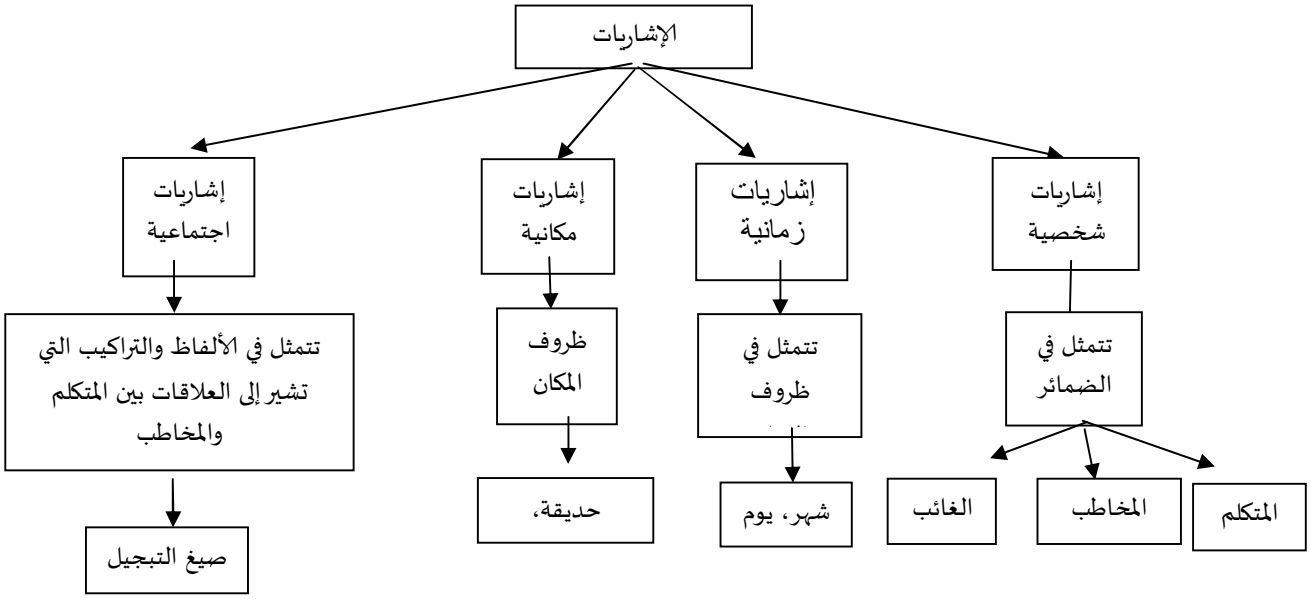

3. عرض الموضوع

3-1) الإشاريات الشخصية

العناصر التي تشير إلى ضمائر الحاضر، و«تشمل ضمائر المتكلم (أنا، نحن) وضمائر المخاطب (أنت، أنتما، أنتن...) أي الحاضرين في سياق الخطاب، وهما دائماً يمثلان عناصر إشارية، بعكس ضمائر الغيبة التي تدخل في الإشاريات إلا إذا كانت إحالتها لا يفسرها السياق اللغوي»[11]. والمقصود بذلك (السياق المقامي أو الموقفي) الذي يُعنَى بتحليل الإشارة اللغوية المذكورة في النص، التي تحيل لمرجع مفهوم من خارج النص، أي تأويل ضمير الغائب بوصفه إشارة شخصية عندما تكون إحالته معتمدة على النص من جهة والموقف الاتصالي من جهة أخرى، مثل قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[12]. ففي الآيات تتابع إشاري لضمائر الغيبة مثل: (ومنهم، آتاهم، بخلوا، وهم)، و«هذه الضمائر تصنَّف على أنها إشارية؛ لأنها تحيل إلى مرجع لا يفسره السياق اللغوي بل السياق غير اللغوي، وهو غير معروف بعينه لنا»[13].

الإنسان بطبعه ودودٌ لبيب يحب التواصل مع جنسه البشري، وهي ميزةٌ خصّنا الله بها دون غيرنا من الكائنات، ولهذا الأمر يكون اجتماعياً وديعاً، محباً للآخرين، ولإشاعة الألفة والمحبة، جعل بينهم لغةٌ يتخاطبون بها ليتفاهموا وليصلوا إلى مرادهم.

إنَّ الإشاريات الشخصية التي نريد الخوض فيها في أشعار وليد سيف، هي ضمائر الحاضر الدالة على المتكلم (أنا ونحن) وضمائر الغائب.

يقول الشاعر:

وسمعت غناءك حين يسافر دون هوية/ غرباء في اللّيل/ غرباء في اللّيل/ غرباء في اللّيل.. تلاقوا../ لم يحكِ الواحد للآخر اسمه/ ومضوا دون مواعيد[14]

يشير ضمير المتكلم المفرد إلى الشاعر عموماً باعتباره متكلّماً ومبدعاً ومرسلاً، وذلك بتوظيفه الضمير (أنا) أو بتوظيفه الضمائر المتّصلة الدّالة على حضور الشاعر كاستعماله لـ (التّاء المتحركة) و(ياء المتكلم) وكذا الضمير الجمعي (نحن) الدّال على المتكلم-الشاعر- إضافةً إلى آخر أو آخرين يكونون معه سواء واقعاً أو خيالاً، إضافةً إلى توظيف (نا) الدّالة على الضمير الجمعي، وكذا الدّالة على الاسم الجمعي. من النماذج للإشاريات الشخصية في هذه المقطوعة الشعرية، استعمل الشاعر فعل (سمعت)، مستنداً إلى ضمير المتكلم (أنا)، للدلالة على حضور المتكلم المرسِل داخل السياق التّواصلي لعملية التّلفظ الشّعري، فالشاعر يعبّر عن تأثّره الكبير ومعاناته من الغربة في صولاته وجولاته الكثيرة طلباً للأمن، هروباً من الحروب التي دمّرت موطنه، ولعل توظيف هذه الإشاريات من قبل المتكلم للمخاطب نقل ظاهرة اجتماعية، كانت متفشية في عصره ألا وهي ظاهرة الهجرة والغربة التي كانت موجودة بكثرة آنذاك. وأيضاً الضمير الإشاري (هم) في مفردة (غرباء)، والفعل الماضي (مضوا)، يجسد الشاعر همّاً جماعياً، فيذكر السفر، ويذكر الغرباء- بصيغة الجمع- ليوضح أن الغربة ليست واقعة على فرد، بل هي واقعة على جماعة، وتتعمّق المشكلة حين ترتبط الغربة بالموت؛ فتضع نهاية للإنسان الفلسطيني وأمنياته، وتسدل ستاراً قاتماً أمامه، وتكشف عن معاناة أخرى حين يموت وحيداً جائعاً، لا يعرفه أحد، هذا هو المصير الذي يهدّد المغتربين، حين تتحطّم أمنياتهم وتغلق في وجوههم حدود العالم. بما أنَّ الشعر له وظيفة تأثرية أكثر وأعمق في نفس المتلقي، لهذا جاء الخطاب عبر الصيغ اللغوية التي يكون تأثيرها أبلغ. تحمل هذه الضمائر معنى واحداً، يضيق به الشاعر ويشكل لديه الهمّ الأول، فالمنافي تحول بينه وبين وطنه، والغربة تبني جسراً من الخوف بين المتحابّين.

يقول الشاعر:

كان العالم في عينيّ سنابك أعداء/ كان الحزن ثقيلاً.. يخنقني../ وأنا كنت أريد الحزن طريّاً../ كالوعد ومثل رشاش الحلم القزحيّ/ وأنا كنت أريد الحزن إلها.. أطرق بابه/ أبكيه هواني اليوم..وضعف الحال/ أنشده أن كان به غضب/ أن يثقب عظمي/ أن يفضح كذبة لحمي/ فيعذّبني مثل عدوٍّ.. لا كحبيب[15].

تعمل صيغ التملك على تثبيت حضور الشاعر والمبدع في السّياق الفضائيّ والتّواصلي والاستدلال على ذاتيّته الإبداعيّة وإثبات كينونته الوجوديّة وذلك باعتباره متكلماً ومرسلاً وذات حاضرةً على مستوى التّلفظ والتّواصل. وظّف الشاعر وليد سيف صيغاً دالة على الملكيّة تحيل إلى حضور الشاعر في السياق الفضائيّ والتّواصليّ من خلال الكلمات (عينيّ، يخنقني، هواني، عظمي، لحمي، يعذبني)، إذ يبين الشاعر من خلال هذه المقطوعة، الصورة الجماعية في حزنه، صورة الإنسان الفلسطيني الذي بدأت بوادر الحزن تظهر عليه منذ اقتسمت أرضه قطعة قطعة، وتفجرت هذه المشاعر مع غيات شمس القدس، فزادت شفاقية الفلسطيني، وصار إنساناً كئيباً لا تفارقه الدّموع والآهات، هكذا ينتشر الحزن في النفس، وخارجها، ويطارد الشاعر، ويكاد يقتله بثقله، وهو بهذه اللّفظة يجسّد بعداً إنسانياً.

وأما فيما يعتلق بالإشاريات الشخصية الدالة على المخاطب فيقول الشاعر:

يعبر تاريخاً يجرح مثل الموسى../ مثل عيون رجال البوليس/ حين تصادر ما تحمله/ في عينيك من الأسرار/ حين تفتّش في جنبيك/ عن الأشجار/ أو حين تفتّش عن وجه الوطن العاشق/ في جيبيك/ وفي جوف حقيبه[16].

يستوجب منطق التّواصل داخل الإبداع الشعري، وجود متكلّم مرسل ومتلق مرسل إليه، ويعني هذا أنّ عملية التلفظ داخل كل قصيدة شعرية يحضر فيها المتكلم والسامع لتحقيق عمليّة التّبليغ، وتفعيل عملية التّواصل، وتبادل الإرساليّات، ويحضر المرسل إليه أو المخاطب عبر مجموعة من القرائن الإشارية والوسائط اللّغوية والتّعبيرية. نجد الشاعر في هذه المقطوعة الشعرية، قد وظّف (كاف الخطاب "ك") في الكلمات: (عينيك، جنبيك، جيبيك) ليؤكد توجيه الخطاب إلى رجال البوليس، فهم يطاردون، ويلاحقون، ويفتّشون، ويبحثون عن الأسماء المشبوهة، وهذه سخرية لاذعة من رجال البوليس الذين يطاردون اللاشيء، والشرطي شخصيّة قبيحة ووجه شرير وقلب قاس ويدان لا ترحمان. وكل تكتّل في الوطن يثير الاتّهام والشبهة، والحرس اللّيليّ يطارد التجمعات السّرية خوفاً من إذكاء فتيل الثورة.

2-3) الإشاريات الاجتماعية

تُعد الإشاريات الاجتماعية أهم المؤشرات الدالة على المقاصد التي يقصدها المتكلم في أثناء عملية التلفظ، والتي تدل على معانٍ أخرى كالتحقير والتعظيم وغيرها. «العناصر الإشارية، هي العناصر الدالة على نوع العلاقة الاجتماعية بين المخاطِب والمخاطَب»[17]. وهي إمّا أن تعبر عن نوع العلاقة من حيث أ هي رسمية أم لا؟ والمثال الأوّل: «جلالة الملك، فخامة الرئيس... إلخ، والمثال الثاني: يا صديقي، واستخدام الاسم المجرد، وأسماء التدليل... إلخ، أو تدل على طبقات المجتمع المختلفة مثل: الفقير، الغني»[18].

ومن الملاحظ أن في استخدام الإشاريات الاجتماعية في النصوص الأدبية أو الرمزية بعداً جديداً في الإحالة لمرجعها الحقيقي، فهناك نوعان من الإحالة في الإشاريات الاجتماعية وهي:

1) «**إحالة حقيقية**: وهي التي تكون باستخدام الإشارية استخداماً موافقاً لما يشير إليه المتكلم، كاستخدام كلمة "العجوز" للإشارة حقيقة إلى مقصد المتكلم وهو الإنسان الطاعن في السن.

2) **إحالة غير حقيقية**: وهي التي تكون باستخدام الإشارية استخداماً غير موافقٍ لما يشير إليه المتكلم، كاستخدام كلمة "الهدهد" للإشارة إلى الرجل المرشد والحكيم[19]».

قد تجسدت الإشاريات الاجتماعية في كثير من أبيات الشاعر، فما ورد منها:

وأنا أجتاز في عينيك موتي/ ودهاليز الجراحات التي تحزن صوتي/ أنتِ يا أمّي.. وبنتي/ تعبر الأقدام أزماناً../ من الرّيح وفوهات البنادق/ وأنا أعرف بيتي/ وخوابي/الشّوق في صمتِ السَّلالم/ آه هل تدرين يا أمّي الحنون/ أيَّ حزنٍ تبعثُ الدّور بقلبي/ حين لا تفتح باباً/ حينما ينتقض الحسّون في اللّيل غراباً[20].

هناك علاقات اجتماعية تدل على الألفة والمودة، كعلاقة الأب والأبناء، والأم والأبناء، وعلاقة الأخوة والأصدقاء وغيرها من علاقات الألفة والمودة. في هذا الإطار استعمل الشاعر مفردات (أمي، بنتي، أمي الحنون) يصف بها مدينته طولكرم، دلالة لحبه وإخلاصه لبلده وإن كان مغترباً عنها منذ سنين. العلاقة الاجتماعية في هذه الأبيات الشعرية كانت بين (الشاعر) والأم والبنت (متصفاً بها مدينة طولكرم)، حين يذكر الشاعر في عنوان المقطع الأول مدينته طولكرم، ويعبّر فيه الشاعر عن الرابطة التي تربطه بذلك المكان، وتعيده الذكريات إلى أيام الطفولة هناك؛ لتذكّره بماضي طولكرم الجميل، فيصاب بنوبة من الحنين إليها بعدما أوصدت أبواب العودة إليها. ثم ينتقل الشاعر إلى المقطع الثّاني "عن الفراق" وفي هذا المقطع يجلّي مضموناً جديداً هو تجميل الفراق، وتحسين صورته؛ ففراق وليد سيف ليس فراقاً يورث النسيان، إنما هو فراق يجدّد العهد مع الوطن، ويوطّد العلاقة بين المغترب والمكان الذي فارقه، وهذا مضمون يتعارض مع ما وقر في أذهان الناس من أنّ الذي نزح نسي الأرض والأهل.

وأيضاً يقول الشاعر:

وبكى جنديّ-من نسل بني الأحمر- غرناطة../ فانتبه القوم، ودلّ الحزن عليّ/ يا ولدي قد دلّ الحزن عليّ/ وأشار أمير الكفّار إليّ بإصبعه الذهبيّ/ قلت: وماذا ظلّ بجسمي حتّى يسلخ[21].

يحتوي هذا الخطاب الشعري على عناصر إشارية اجتماعية، وقد تمثلت في: (بني الأحمر و أمير الكفار). بنو الأحمر، أو بنو نصر، أو النصريون هم أسرة حكمت غرناطة في أواخر العصر الأسلامي بالأندلس حتى سقوط غرناطة في عصر آخر ملوك بني الأحمر أبو عبد الله محمد عام 1492 م. «وهي آخر أسرة عربية إسلامية حكمت في الأندلس، وكان ذلك في غرناطة ما بين 1232/38-1492م. يقال أن سبب تسمية بني نصر ملوك غرناطة باسم بني الأحمر يرجع إلى شقرة فيهم، وأول من تلقب بالأحمر جدهم الأكبر عقيل بن نصر وذلك لشقرة فيه. وقد استمر ظهور هذا اللون في بعض أفراد هذه الأسرة مثل أبو عبد الله محمد السادس (1320 – 1362) الذي تطلق عليه المصادر الاسبانية لقب البرميخو ومعناه اللون البرتقالي الضارب إلى الحمرة وهو لون شعره ولحيته[22]». وظف الشاعر العنصرين الإشارتين (بني الأحمر وأمير الكفار) ليربط بين حالته وحالة الغرناطيّ الذي يبكي في المغرب، تاريخاً ضائعاً "غرناطة"، فيذكّر الشّاعر بوطنه الضائع، فينعكس الحزن عليه، ويتفاعل مع مشهد البكاء، وهذا الحزن والتفاعل يكشف أمره، فيعرف أنّه فلسطينيّ من بين القوم، لأنّ هناك تاريخاً مشتركاً بين "غرناطة" و"القدس" و"الأندلس. على هذه الأنماط أدّت موتيفة الحزن وظيفتها الشعرية، وفتحت بعض مسارب النّص أمام المتلقّي، كاشفة عالم الشاعر،وبعض رؤاه ومواقفه.

في مقطع آخر يقول الشاعر:

تجمّلي بالشّومر الرّيفي يا مليكة النّساء/ تجمّلي بالشمس والرّياح والصّبار/ إنسانك القديم عاد/ حصانة المزهوّ ينثر الغبار/ ويملأ الدّروب بالصّهيل/ وينسج الأحلام في غد الصغار[23].

من الإشاريات الاجتماعية الأخرى التي ذكرها الشاعر في أشعاره، هي الألقاب والصفات (الشومر الريفي، ومليكة النّساء). العناصر الإشارية تُشير إلى طبيعة العلاقة بين الشاعر وليد سيف، والمخاطب، واستعمال هذه التعابير محكوم بحسب المقامات والظروف الخاصة بها، وفي خِضَمّ هذه العلاقة تتحدد مقاصد المتكلم وأهداف الخطاب، ونوع اللغة المستخدمة أثناء التخاطب. هذه الألقاب التي ذكرها الشاعر قد تكون رمزاً للوطن، ويستغل وليد سيف هذه المعاني ليوظفها في شعره، ومن خلال هذه المفردات يأمل الشاعر بعودة الوطن. ترتبط مفردة "الحصان" بالبطولة، ومفردة "الغبار" الذي يثيره خلفه، إيذان الجهاد، وصهيله، صوت ينادي بالتغيير وانبلاج الأمل.

3-3) الإشاريات الزمانية

هي العناصر الإشارية التي تدل على الزمان المحدد بالسياق، مع الأخذ بالاعتبار زمن التكلم؛ لأنه إذا لم يعرف المستقبل (السامع أو القارئ) زمن التكلم التبس عليه الأمر. ودراسة الملفوظات الزمانية في اللغة العربية باب نشط في دراسته الكثير من الباحثين وأهم ما لُوحظ في هذه الدراسات أن «لكل لفظة ثلاث دلالات زمانية وهي:

-الدلالة الصرفية

-الدلالة النحوية

-الدلالة التداولية»[24]

ومثال ما يوضح وجود هذه الدلالات: «"هذا زهير الشاعر، يراجع قصيدته حتى تَجودُ بعد حول في مراجعتها"، الفعل المضارع "تَجودُ" دلّ على معنى حدوث الجودة بعد عام وهو حدث قد انتهى حقيقة قبل التلفظ بالجملة كلها، وزمن

الفعل المضارع الحقيقي هو الماضي، ولكن كان التلفظ بالمضارع بقصد حكاية ما مضى، كأنَّ الحدث ماثلٌ زمنياً الآن، ولذلك وجب رفعه مراعاة لزمن الحالة التأويلية»[25]. والفعل المضارع "تجود" «دلّ صرفياً على حدوث الفعل في زمن الحاضر، ودلّ نحوياً مع كلمة "حتى" على حدوث الفعل في زمن الماضي، وقرينته هي عدم نصب الفعل، ودلّ تداولياً- وفق زمن التلفظ الآن- طول الزمن الذي كان يستغرقه الشاعر في صياغة وتجويد قصيدته[26]».

والإشاريات الزمانية مثل باقي الإشاريات في الإحالة يجب أن تحيل لمرجع، فقد تحيل لزمن محدد كقولك: «ضرب زيد عمراً يوم الخميس، فدلالة الضرب لم تكن إلا في وقت معين من يوم الخميس، وقد تحيل لزمن من غير محدد كقولك: بنات اليوم، فالإشارة إلى الزمان كانت للعصر وليس لليوم المعروف بأربع وعشرين ساعة»[27]. وقد تكون العناصر الإشارية الدالة على الزمان كالحروف مثل: إذ الظرفية، من، إلى، أو الظروف مثل: غداً، صباحاً، مساءاً، أو الأفعال، مثل دلالة الحاضر على الماضي وغيرها من الدلالات.

يعمد الشاعر وليد سيف في خطابه إلى إدراج عناصر إشارية زمانية لتحديد زمن التلفظ، على سبيل المثال:

لو أنّني آتيك في الليل الثقيل
وأمرّ في عينيك حسّوناً.. وفلّة[28]

وظف الشاعر النعصر الإشاري الزماني المتمثل في "الليل"، وكان الليل الزمن الأكثر تردداً في شعر وليد سيف. جاءت دلالة العنصر الإشاري الزماني في هذا النموذج، وهو زمن يرتبط بالقلق والخوف، والضياع والغربة واختفاء المصير، ويشير به إلى الضبابيّة التي تحول دون رؤية المستقبل. وإلحاح مفرداته على الشاعر يعكس حالة نفسيّة ترتبط بالضيق والضجر من واقع لا يقلّ ظلامه عن ظلام الليل، ويصفه بالثقل، والثقل شعور نفسي.

في مكان آخر يقول الشاعر:

كان وقت المساء../ وأنا أغرق في الحزن/ وأنت وحيدي.. خبز الفرحة/ وجذور الحزن النّعناعيّ/ وأردتك لو تبقى عندي[29]

لقد سعى الشاعر وليد سيف في منجزه الشعري، إلى توظيف الظروف بأنواعها، وتُعرَّفُ الظروف على أنّها: ما دَلَّ على مقدار معيَّنٍ من الزمان، ومثال ذلك: الشهر، السنة، اليوم، العام، الأسبوع. استعمل الشّاعر في هذه المقطوعة الشعرية صيغاً إشاريةً زمانيةً تمثلت في (الوقت) و(المساء)، حيث عمد إلى توظيفها توظيفاً إشارياً، فلفظة المساء تشكّل لحظة وجدانية خصبة يجد الشاعر فيها من المعاني ما يمكن أن يكون رمزاً لما تجيش به عواطفه، وقد ارتبطت هذه اللفظة في شعر وليد سيف بمعنيين، الأول: الحزن والفراق، فالمساء مرتبط هنا بالفراق؛ لذا أثار الأحزان، وهي إثارة نفسيّة. والمعنى الثاني: ارتباطه بالعودة، وهذا الارتباط نقيض الارتباط الأول؛ فالمساء وقت يعود فيه النّاس إلى بيوتهم، والطيور إلى أعشاشها، وكلّ شيء إلى سكونه، فيأمل الشاعر أن يعود إلى وطنه في هذا الوقت.

يقول الشاعر:

قاسٍ هو الخريف يا صديقي/ يعيد لي ذكرى مرارة البحار/ والموت والحيتان والمحار/ وفي الشتاء يا صديقي أشتاق/ للدّفء والعناق[30]

وظّف الشاعر العنصر الإشاري المتمثل في الفصلين (الخريف، والشتاء)، ذلك ليدلّ بهما على مرحلة الانتقال من حالة إلى أخرى، ويسقط الشاعر حالته النفسيّة على بعض الفصول مثل "الخريف"، فقد استغلّ دلالة هذا الفصل، وجفافه وقساوته وخراب الطبيعة فيه، والقلق الذي يساور الحياة أثناءه؛ لأنّه يعدّ فترة انتقالية مؤرقة، بينما يمنح

الشتاء بعداً إيجابياً حين يربطه بالشوق، فيستغل دلالة هذا الفصل المتّصل بقدم الذكريات والماضي البعيد، فهناك مفارقة بين الفصلين وهي مفارقة نفسيّة.

وفي هذا المستوى يقول إبراهيم موسى: «والزّمان زمانان: زمان تاريخي، وزمان نفسيّ، والأول قليل القيمة الفنّيّة، أمّا الثاني فيعد عنصراً فنياً جمالياً؛ لأنّه ينقل أبعاداً نفسيّة، ويخرج به الفنّان عن إطاره الظرفي البحت، ويحوره وفق منظوره الخاصّ؛ فهو زمن المشاعر والأحاسيس التي تثيرها الأشياء الخارجية... أو هو الزّمن الذي يخضعه الأديب لأحاسيسه الذاتية، ويفرّعه من طبيعته ومدّته الثابتة»[31]. ووليد سيف من ضمن الشعراء الذين نقلوا الزّمان من معناه المجرد، وحوّلوه من التّاريخي المحدود إلى النفسي الممتد.

يقول الشاعر:

فأنت فارسي.. تذبّ عن فنائنا الذئاب/ غداً أراك يا حبيب سيد الشباب/ تجيئنا على حصانك القوي.. تأسر القلوب/ وتفقأ العيون في محاجر الحسّاد[32]

يُشير ظرف الزمان (غداً) حسب مقام القصيدة إلى ذلك اليوم الذي ينتهي فيه الاحتلال، ويطفأ جمر الحرب، وتتوقف عن الحياة تلك النار التي ظلّت مستعرة لسنين. يلمس من خلال هذه الأبيات التلاحم العميق بين الشاعر الفلسطيني ووطنه، فهذه الكلمات بما تثيره من إيحاءات وجدانية نابعة عن التمسك بالهوية الفلسطينية والتحدي الصامد في وجه المحتل مهما تغيّرت صور الغزو ومسمياته. إن اصرار الشاعر وأمله بالثورة والشعب والنصر لاحدود لها، فمهما بَعُد لقاء الشعب الفلسطيني، إلا أن أمل اللقاء، والنصر، والفتح مازال يراوده، حيث سيزف النصر الكبير ويلاقي به فلسطين. فالشاعر هنا يُحيل من خلال توظيف العنصر الإشاري "غداً"، إلى الفتنة التي تفشت في وطنه، والتي أشعلت نارها أيادي خارجية، ويأمل الشاعر من خلال هذا العنصر الإشاري الزماني، إلى المستقبل المنتظر الذي تعود فيه المياه إلى مجاريها.

4-3) الإشاريات المكانية

وهي العناصر الإشارية الدالة على الأماكن المحددة وقت التلفظ بها. يقول الشهري، وهناك من يرى أن تأويل المكان تأويلاً سليماً يعتمد على ثلاثة أمور هي: «1.مكان التلفظ، 2.اتجاه المتكلم، 3.موقع الإشارة بالنسبة إلى الأشياء الأخرى التي يستعمل المتكلم دوالها اللغوية»[33]. نشرح هذا المحور (الإشاريات المكانية) بذكر مثال واحد: "أنا بانتظارك في المقهى الذي يبعد عنك مسافة خمسينَ متراً"، بالنسبة لمكان التلفظ، يُقصَد به مدى معرفة السامع لمكان التلفظ المشار إليه. المثال المذكور يوضّح مدى اللبس الذي يمكن حصوله في حال عدم معرفة السامع لمكان التلفظ وهو المقهى، فهو لا يستطيع تحديد اتجاه الخمسينَ متراً؛ لأنه لا يعرف تحديداً موقع المقهى.

وأما "اتجاه المتكلم" فيُقصَد به مدى معرفة السامع اتجاه المتكلم المشار إليه، كما في المثال: "يقع النادي على يميني" فإذا لم يعرف السامع اتجاه يمين المتكلم فإنه لن يعرف موقع النادي؛ لأن الإشارة المكانية (يمين) قد تكون من جهة الشرق أو الشمال أو غيرها من الجهات.

وأمّا "موقع الإشارة بالنسبة إلى الأشياء الأخرى" «فيُقصَد به معرفة مواقع الأمور المادية التي ترتبط بالإشاريات المكانية، كما في المثال: "الكرة وراء السيارة"، المتكلم في هذا المثال لا يستطيع الاكتفاء بالإشارية المكانية (وراء) دون ذكر السيارة، وإلّا سيكون الكلام مبهماً، فمعرفة المضاف متوقفة على معرفة المضاف إليه»[34]. وهذه العناصر الإشارية مؤثرة في الاستعمال اللغوي من حيث القرب والبعد من المكان المشار إليه، وتمثلها طائفة من أسماء الإشارة، مثل:

ذلك، تلك و....، والظروف، مثل: فوق، تحت...، والأفعال المتضمنة لمعنى الحركة، مثل: ذهب، أتى، أعطى، هات، خذ و غيرها.

(2)مخطط يوضِّحُ الإشاريات المكانية

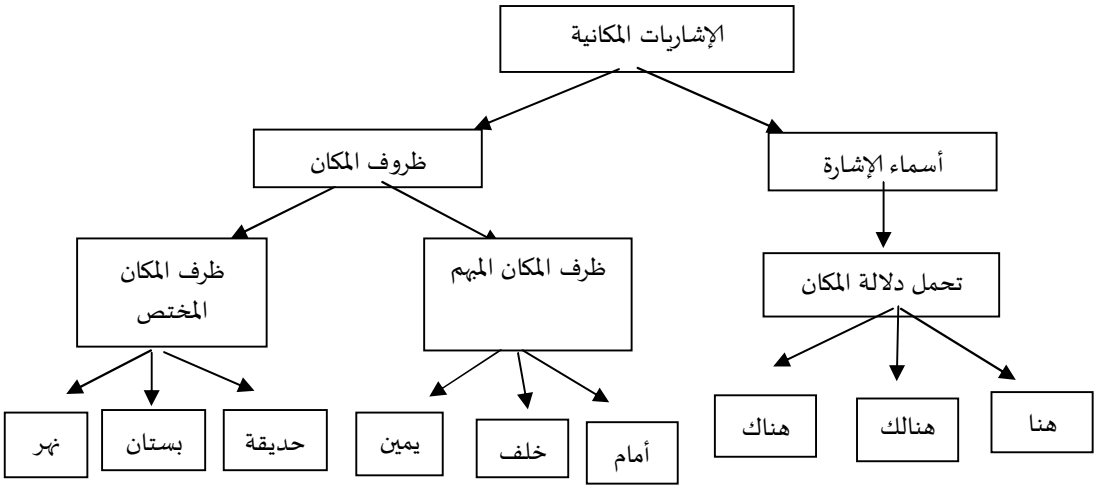

لقد أبدع الشاعر وليد سيف في توظيف الإشاريات المكانية توظيفاً متقناً في دواوينه الشعرية، الأمر الذي جعلها مهيمنة بشكلٍ واضحٍ في هذا المنجز الشعري، كونها تدلّ على قرب المتكلم دون بعده مكانياً أو نفسياً، حيث نوّع الشاعر بين الإشاريات التي تدلّ على المكان من ظروف مبهمةٍ وأخرى مختصةٍ، وأسماء إشارةٍ، وتفصيل ذلك فيما يلي:

وقفت عند جرحي القديم/ وكان بارداً كدمعة مكرّرة/ فتحتُ بابه وصحت في الرّياح:/ طولكرم.. طولكرم/ الآن حبّنا كَبُر/ بحثت عنكِ في حدائق الشّموس والأقمار/ وفي جناح طائر مهاجر وراء حائط الزّمن/ ينقّر الظنون من يد الجليد والبهار/ وفي مراكب الذين جذفوا إلى جزائر النهار/ وأتبعوا البحار../ علّها تسرّ في محارها وطن[35]

تمثل هذه المقطوعة الشعرية، موجة شعرية انفعالية، شديدة الألم، مملوءة بالهموم والأحزان على فراق الأهل والأحبة، والوطن، التي كانت تربطهُ معهم ذكريات الماضي السعيد. مدينة طولكرم موطن الشاعر وليد سيف، فهو يحنّ للمكان، ويتذكّر أيّام صباه. لاشك أن لهذه المدينة التي احتضنت الشاعر مكانة عظيمة في شعره وقلبه، فقد وجد فيها أماناً وأملاً للعيش مرة أخرى. فقد أضفى الشاعر أجمل الصفات على هذه المدينة، بعد أن أمضى سنوات عديدة من حياته في أرضٍ أخرى. لقد عدَّد الشاعر وليد سيف بين الأمكنة، وذلك ما وجدناه في هذا النموذج، نحو: (عند، طولكرم، حدائق، وراء، مراكب، البحار)، ما يلاحظ هنا أن الشاعر مصاب بشيء من الهيام بسبب فقدان الوطن، حين يطول بُعده، وينوء بثقل الحياة خارج وطنه، فيروح يتسائل عنها، الشموس، والأطيار، والمراكب، فطولكرم هنا تجسّد الوطن، وليس يقصد مدينة طولكرم بالتحديد، والبحث عنها، بحث عن الوطن المفقود. فحاول الشاعر أن يُلمّح دون أن يُصرّح، فأعطى إشارات مكانية لتُحيل إلى المكان المقصود من دون أن ينطق به، ليترك التأويل للمتلقي ويحاول فك شفرة الخطاب.

يقول الشاعر:

"دبّين" يخبّئ جمجمةً في الأرض../ ويخلع معطفة الشجريّ أمام النار الكيماويّة../ يختصر الزّمن الفاصل بين يديه وبين الأطلال الرّومانيّة/ في أرض "جرش"/ يتعرّى دبّين، ودبّين صديقاً كان لعبد اللهِ../ ولكنّ المطر الكيماويّ يطارد آخر غصنٍ يستر عبدالله[36]

من الأماكن التي وردت في هذه القصيدة، نجد: (دبّين، أمام، الأطلال، جرش)، إنّ ما نلاحظه على هذا المقطع، استخدام الشاعر لمؤشرات مكانية تدلّ على مكان إيجابي، وهو مكان المقاومة، وكان نموذج هذا المكان "دبّين" الذي حمى بأشجاره أحد المجاهدين المطاردين "عبدالله بن صفية"، لكنّ مثل هذا المكان يتعرّض للتّدمير، والحرق، فالرّعب الواقع على الإنسان، واقع على المكان. والشاعر لم يُصرح به حقيقةً وعلناً، وإنّما أحال عليه بواسطة إشاراتٍ مختلفةٍ تجتمع كلها لترسم صورةً ولوحةً فنيةً تُحيل إلى المكان الذي يقصده. وبشيء من التأمل يظهر المتكلم معاناته النفسية المرتبطة بعبارة " ولكنّ المطر الكيماويّ يطارد آخر غصنٍ يستر عبدالله"، فالشاعر يصف العواقب الوخيمة التي تنتج عن الحرب، وما هي إلا الدمار والخراب اللذان يصيبان البلاد والشعب.

يقول الشاعر:

يا حبي الحارق كالنّعناع/ وظننت القمر الطّيب سوف يهاجر في عينيك/ من غير شراع/ ويمد على الجرحين مناديل الرّيح الإنسانية/ يستر عقم اللحظات العريانة/ يشعل في قلبي المشدود إلى باقة/ أسرار السكة والتبانة.../ فلربما سألوا عن الدّرب الذي../ يجتاز أقبية النهار/ ويمرّ في جرح العصافير الصغيرة/ وعدا لشباك/ وأغنية.. ودار[37]

في كثير من الأحيان تتظافر الإشاريات المكانية فيما بينها لتحديد المرجع المكاني المقصود، حيث نجد في القصيدة الواحدة أكثر من عنصر إشاري، كما هو الحال في هذه المقطوعة الشعرية. يكثر وليد سيف من ذكر البيت ومتعلّقاته؛ الدار، النوافذ، الأبواب، الدّرب، أقبية النهار، وهي أمكنة صغيرة لكن لها دلالاتها، فالدار وطن مصغّر داخل الوطن الكبير، وهو رمز الألفة والتوحّد؛ أنّه عالم الشاعر الذي يخلو فيه بنفسه، حيث يترك العالم، ويسبح بخياله بين جدرانه الصّامتة، فالبيت هو مستودع الذّكريات، والطفولة، والماضي الجميل، وضياع هذا المكان يعني ضياع الإنسان، وضياع أحلامه، وتشتّت فكره، فهو كالعلبة التي تحفظ محتويات ثمينة، وإذا فقدت أو كسرت، ضاع كلّ شيء. وهذا ما أحسّه الشاعر وليد سيف حين فقد بيته، وصارت الخيمة بديل هذا البيت، فصار يحلم بالعودة إلى داره الصغيرة في وطنه.

النتائج

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

-تعد التداولية ميداناً من ميادين الدراسات اللغوية، كالبنيوية والأسلوبية، فهي لا تهتم بمعنى الجملة، بقدر ما تهتم في ما يعني المتكلم وكيفية إيصاله إلى المخاطب.

-رصدت الدراسة حضوراً واضحاً للإشاريات التداولية، بوصفها قاعدة من قواعد التخاطب التداولي، يمكن اسقاط أبعادها على الخطاب النحوي، ولاسيما خطاب وليد سيف، لسعة أفقه ومرونته؛ لتحقيق التأثير والإقناع لدى المتلقي.

-توظيف الشاعر للإشاريات الزمانية في فحوى خطابه، يُساعد على تأويل أحداث الخطاب وفهم قصده ومعرفة لحظة التلفظ، ولكن الشاعر هنا غالباً ما يهدف إلى توظيفه ليرمز به إلى شيء آخر باقع في عقله ويخلج في نفسه، ما يُصَعِّبُ الأمر نوعاً ما على المتلقي ويجعله في حيرة من أمره، فالإشاريات الزمانية قد تُستَخدَمُ في غير موضعها، لتصبح مزدوجة الوظيفة، بحيث تُحيل إلى مرجعها الزماني، وأشياء آخرى حسب حاجة المتكلم.

-الإشاريات المكانية والزمانية في أشعار الشاعر وليد سيف كانت متساوية، وهذا دليل على أنّ موضوع الزمان و المكان كلاهما مهمان بالنسبة للشاعر.

-ساعدت الإشاريات المكانية، الشاعر في التعبير عن مشاعره وآلامه بدقة، بصورة حية تلمس روح السامع، حيث كانت بعض أسماء الأماكن مشحونة بالحصرة والتمردّ، والبعض الآخر كلها أمل لمستقبل مشرق يعيش الأمن والسلام. الإشاريات المكانية في دواوين الشاعر هي تلك الأماكن التي تعرّضت للظلم والخراب، أيضاً الأماكن التي يسعى ويأمل الشاعر الوصول إليها لنقائها وسلامها.

-تمثلت الإشاريات الشخصية الدالة على المتكلم (الشاعر)، وذلك بتوظيفه الضمير (أنا) أو بتوظيفه للضمائر المتّصلة الدّالة على حضور الشاعر كاستعماله لـ: (التّاء المتحركة) و(ياء المتكلم) وكذا الضمير الجمعي (نحن) الدّال على المتكلم-الشاعر- إضافةً إلى آخر أو آخرين يكونون معه. وأيضاً تمثلت الإشاريات الشخصية الدالة على المخاطب في الضمائر المتصلة مثل "ك" الخطاب، موجه إلى رجال الجيش الاحتلال.

-تؤدي الإشاريات الاجتماعية دوراً في تحديد العلاقة بين المتكلم والمخاطب، فأفادت دلالات متنوعة منها التعظيم، التحقير، والتعبير عن معاني المودة والشفقة والتلطف، في مقابل معاني الكراهية والعقاب. وأكثر الإشاريات الاجتماعية المستخدمة في شعر وليد سيف ترمز إلى الوطن.

الهوامش

1. وليد سيف، الشاهد والمشهود، ص 20.
2. المصدر السابق، ص 10.
3. محمود بن عمر، أساس البلاغة، ص303.
4. آل عمران: 140
5. سعيد علوش، المقاربة التداولية، ص 12.
6. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 25.
7. محمد مزيد بهاء الدين، تبسيط التداولية-من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص 18.
8. لودجر هوفمان، علم اللغة: النظريات اللغوية-اللغة والفعل نصوص لغوية لقراءة أهم اتجاهات البحث اللغوي، ص 123
9. جورج يول، التداولية، ص 27
10. جواد ختام، التداولية وأصولها واتجاهاتها، ص 76
11. محمود نحلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ص 17.
12. التوبة: 77-75
13. سامية شوادر، البعد التداولي للضمير في سورة التوبة، صص 369-396.

14. وليد سيف،تغريبة بني فلسطين، ص 76
15. ____ ، قصائد في زمن الفتح، ص 22-21
16. ____، وشم على ذراع خضرة، ص 66.
17. محمود نحلة، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ص 25.
18. المصدر السابق، ص 25.
19. المصدر السابق، ص 19
20. وليد سيف، قصائد في زمن الفتح، ص 79.
21. ____، تغريبة بني فلسطين، ص 40.
22. نقلاً عن الموقع https://espanaenarabe.com/%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%85-%D8%A8%D9%86%D9%88-
23. وليد سيف، قصائد في زمن الفتح، ص 73
24. حسن، عباس، النحو الوافي، ص 341
25. المصدر السابق، ص 341.
26. ميعاد، محمد، عوض، الظاهري، الثنائيات الإشارية في تحليل الخطاب: مقاربة لسانية تداولية، ص 5
27. محمود نحلة،آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ص 20.
28. وليد سيف، قصائد في زمن الفتح، ص 101
29. المصدر السابق: ص 24.
30. المصدر السابق: ص 40
31. إبراهيم نمر موسى، آفاق الرؤيا الشعرية- دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص 201.
32. وليد سيف، قصائد في زمن الفتح، ص 47.
33. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 85.
34. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص 85.
35. وليد سيف، قصائد في زمن الفتح، ص 57.
36. _____،تغريبة بني فلسطين، ص 21
37. _____، قصائد في زمن الفتح، ص 136.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. بهاء الدين، محمد مزيد، **تبسيط التداولية-من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي**، ط1، القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، 2010م.
3. بن عمر، محمود، **أساس البلاغة**، ط1، لبنان: منشورات دار الكتب العلمية، 1998م.
4. ختام، جواد، **التداولية وأصولها واتجاهاتها**، ط1، مكتبة الملك فهد، 2016م.
5. سيف، وليد، **الشاهد والمشهود:سيرة ومراجعات فكرية**، 2016م.
6. ____ ، **وشم على ذراع خضرة**، ط1، بيروت: دار العودة، 1971م.
7. ____، **تغريبة بني فلسطين**، ط1، بيروت: دار العودة، 1979م.
8. ____ ، **قصائد في زمن الفتح**. ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1969م.

9. شوادر، سامية، «البعد التداولي للضمير في سورة التوبة»، **مجلة المخبر**، العدد 12، جامعة بسكرة، 2016م، صص 369-396.

10. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)**، ط1، ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2004م.

11. صحراوي، مسعود، **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، ط 1، الجزائر: دار التنوير، 2008م.

12. الظاهري، ميعاد، محمد، عوض،«الثنائيات الإشارية في تحليل الخطاب: مقاربة لسانية تداولية»، مجلة العربية للآداب والدراسات الانسانية، المجلد 4، العدد 12، جامعة جدة، 2020م، صص 338-321 .

13. عباس، حسن، **النحو الوافي**، ط16، ج4، مصر: دار المعارف، 2007م.

14. علوش، سعيد، **المقاربة التداولية**، المغرب: مركز الانماء القومي، 1986م.

15. موسى، إبراهيم، نمر، **آفاق الرؤيا الشعرية- دراسات في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ط1، فلسطين: وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، 2005م

16. نحلة، محمود، **آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2006م.

17. هوفمان، لودجر، **علم اللغة: النظريات اللغوية-اللغة والفعل نصوص لغوية لقراءة أهم اتجاهات البحث اللغوي**، ترجمة: سعيد بحيري، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 2015م.

18. يول، جورج، **التداولية**، ترجمة: العتابي، ط1، الرباط: دار الأمان، 2010م.

REFERENCES

1. The Holy Quran

2. Bahaa El-Din, Muhammad Mazid, Simplifying Pragmatics - From Language Verbs to the Rhetoric of Political Discourse, 1st edition, Cairo: Shams Publishing and Distribution, [In Arabic]. 2010 AD.

3. Bin Omar, Mahmoud, Asas Al-Balagha, 1st edition, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya Publications, [In Arabic]. 1998 AD.

4. Khitam, Jawad, pragmatics, its origins and trends, 1st edition, King Fahd Library, [In Arabic]. 2016 AD.

5. Saif, Walid, The Witness and the Witnessed: A Biography and Intellectual Reviews, [In Arabic]. 2016 AD.

6. _____, A Tattoo on Khadra's Arm, 1st edition, Beirut: Dar Al Awda, [In Arabic]. 1971 AD.

7. _____, The Westernization of the Children of Palestine, 1st edition, Beirut: Dar Al-Awda, [In Arabic]. 1979 AD.

8. _____, poems during the time of conquest. 1st edition, Beirut: Dar Al-Tali'ah for Printing and Publishing, [In Arabic]. 1969 AD.

9. Chwader, Samia, "The Pragmatic Dimension of Conscience in Surat Al-Tawbah," Al-Makhbar Magazine, No. 12, University of Biskra, [In Arabic]. 2016, pp. 369-396.

10. Al-Shehri, Abdul Hadi bin Dhafer, Discourse Strategies (A Pragmatic Linguistic Approach), 1st edition, Libya: National Book House, [In Arabic]. 2004 AD.

11. Sahrawi, Masoud, Pragmatics among Arab Scholars, a pragmatic study of the phenomenon of speech acts in the Arab linguistic heritage, 1st edition, Algeria: Dar Al-Tanweer,[In Arabic]. 2008 AD.

12. Al-Dhaheri, Mead, Muhammad, Awad, "Indicative dualities in discourse analysis: a pragmatic linguistic approach," Al-Arabiya Journal of Arts and Humanities, Volume 4, Issue 12, University of Jeddah, 2020, pp. 321-338.

13. Abbas, Hassan, Al-Nahw Al-Wafi, 16th edition, vol. 4, Egypt: Dar Al-Maaref, [In Arabic]. 2007 AD.

14. Alloush, Saeed, The Deliberative Approach, Morocco: National Development Center, [In Arabic]. 1986 AD.

15. Musa, Ibrahim, Nimr, Horizons of Poetic Vision - Studies on the Types of Intertextuality in Contemporary Palestinian Poetry, 1st edition, Palestine: Ministry of Culture, General Book Authority, [In Arabic]. 2005 AD.

16. Nahla, Mahmoud, New Horizons for Contemporary Linguistic Research, Alexandria: Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'ia, [In Arabic]. 2006 AD.

17. Hoffman, Ludger, Linguistics: Linguistic Theories - Language and Action, Linguistic Texts for Reading the Most Important Trends in Linguistic Research, Translated by: Saeed Beheiry, Cairo: Zahraa Al-Sharq Library, [In Arabic]. 2015 AD.

18.Yeul, George, Pragmatics. Translated by: Al-Atabi, 1st edition, Rabat: Dar Al-Aman, [In Arabic]. 2010 AD.